اليسوعيّون وروسيا

الأب كميل حشيمه اليسوعيّ*

في يوم الأحد ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٩١، حملت صحيفة الڤاتيكان الرسميّة: الأوسيرڤاتوره رُومانو l'Osservatore Romano إلى قرّائها الخبر التالي: «إعادة تنظيم الكنيسة الكاثوليكيّة اللاتينيّة في جمهوريّات روسيا البيضاء وروسيا وكازخستان. في سيبيريا أنشأ البابا نيابة نُوفُو سيبِرْسك الرسوليّة وعيّن حضرة الأب جوزف وِرْث اليسوعيّ، كاهنَ مَرْكس (منطقة الڤولغا) مدبِّرًا رسوليًّا ومَنَحه لقب مطران بُولْنا». والأب ورث وُلد عام ١٩٥١ وهو من إقليم ليتوانيا اليسوعيّ. رُسم كاهنًا عام ١٩٨٤ والتحق بالرهبانيّة اليسوعيّة في السنة عينها. وقد سيم أسقفًا في موسكو يوم ١٦ حزيران/ يونيو ١٩٩١.

أسقف يسوعيّ يسام في عاصمة الاتّحاد السوفياتيّ سنة ١٩٩١. إنّه لحدثٌ لم يكن ليحلم به أو يصدّقه أحد قبل أشهر معدودة من وقوعه، ولكنّنا لم نعد نستغربه اليوم بعد أن طرأ على بلاد السوفيات في الأشهر الأخيرة ما طرأ من الأحداث المتسارعة والتغيُّرات المثيرة. والحقّ يقال إنّ الرهبانيّة اليسوعيّة ليست بغريبة على روسيا كما يشهد التاريخ على ذلك وكما سنبيِّنه ببعض ما نسوقه من الأخبار والوقائع.

(*) مدير دار المشرق ومجلّة المشرق.

أوّل يسوعيّ دخل بلاد الروس هو إيطاليّ يُدعى انطونيو پوسّڤينو Possevino (١٥٣٣؟ ـ ١٦١١). كان أمين السرّ لرئيس الرهبانيّة العامّ، الأب مِركُوريان، فأوفده البابا غريغوريوس الثالث عشر وسيطًا في حرب ليڤونيا التي شبّت بين بولونيا وبلاد المسكوب. وكان العاهل الروسيّ إيڤان الرابع قد طلب وساطة الحبر الرومانيّ في شباط/ فبراير ١٥٨١، فقبل البابا على أمل دخول الروس في الوحدة مع روما. وقدم پوسّڤينو برفقة أربعة يسوعيّين احدهما إيطاليّ يُدعى كَمْپانا Campana، صار في ما بعد رئيسًا على إقليم بولونيا وألّف كتابًا باللاتينيّة عن رحلته إلى بلاد المسكوب[1]. واستطاع الدبلوماسيّ اليسوعيّ أن يوقف الحرب وعُقدت معاهدة صلح بين الدولتَيْن المتحاربتَيْن. إلاّ أنّ المحاورات الدينيّة الثلاث التي تمّت في شباط وآذار/ مارس ١٥٨٢ بين الراهب الوسيط والقيصر إيڤان الرهيب لم تسفر عن نتيجة، لا بل توصّل المليك الغضوب في إحداها إلى شتم البابا وتهديد اليسوعيّ بقضيبه الحديد. وقد دوّن پوسّڤينو خُبراته وانطباعاته في عدد من الكتابات، أهمّها سيرته الذاتيّة وخبر رحلته[2]، وجميعها جزيل الفائدة للمؤرّخين.

وأُتيحت لليسوعيّين فرصة ثانية لدخول روسيا، وذلك سنة ١٦٠٣ إذ جاء الأمير ديمتري، المطالب بالعرش الروسيّ، إلى البولونيّين يسألهم المساعدة. فاتّصل ديمتري برئيس دير الرهبانيّة في كراكوف وقُبِل على يده في الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٦٠٤، ووعد أن يحوّل روسيا إلى الكثلكة فور تسلّمه الحكم فيها. ولمّا شنّ ديمتري حملته على الروس، رافقه اثنان من اليسوعيّين بصفة مرشدَيْن روحيّيْن للجنود البولونيّين الحلفاء، ولكن الآمال بتكثلك الروس تبخّرت مع مقتل ديمتري في ٢٧ أيّار/ مايو ١٦٠٦.

وبعد نحو ثمانين سنة، عام ١٦٨٤، سُمح لاثنين من اليسوعيّين بالمكوث في موسكو في حماية عاهل النمسا ليوپولد الأوّل. فبقوا فيها حتّى ١٦٨٩ ونشاطهم الأساسيّ مقصور على خدمة الرعايا الكاثوليك الأجانب. وقد دوّن

(١) I.P. Campani, *Relatio de itinere moscovitico.*

(٢) Antonio Possevino, s.j., *Moscovia*, Vilnae, 1586.

أحدهم، الأب جيري دافيد، وضع جميعهم آنذاك قسمي كتاب باللاتينيّة تحمل للعاية عن أوضاع «روسيا العظمى»(١)، كما أنّه ألّف كتابًا لغويًا كان له فضل الريادة في تدريس اللغة الروسيّة في غرب أوروبّا(٢).

وكان محظّرًا على الآباء التبشير بين الأرثوذكس، إلاّ أنّ بعض الروس اعتنقوا الكثلكة سرًّا، نذكر منهم الكسي لديجنسكي، وهو شريف التحق بالرهبانيّة اليسوعيّة بعد أن سافر إلى روما. وقد أُسِر لدى عودته إلى بولونيا، أسره بنو قومه سنة ١٧٣٥، واستجوبه السينودس المقدّس، ولكنّه بقي على إيمانه الكاثوليكيّ فنفي إلى سيبيريا حيث توفّي بعد نحو عشرين سنة من القهر والعذاب.

وعاد اليسوعيّون إلى روسيا سنة ١٦٩٨ قبيل قيام بطرس الكبير بإصلاحه المعروف. وكان القيصر يريد كسب عطف دول الغرب الكاثوليكيّ، فرعى اليسوعيّين وسمح لهم بفتح مدرسة ضمّت نحو ثلاثين طالبًا من أبناء النبلاء. وكان لهم بعض التأثير في المدارس الأرثوذكسيّة في موسكو وكييف، لا سيّما في أكاديميّة كييف التي نُظّمت على غرار الجامعات اليسوعيّة في البلدان الأخرى. وسمح القيصر للمرسَلين اليسوعيّين بتفقّد الجماعات الكاثوليكيّة الموزّعة هنا وهناك في أرجاء الأمبراطوريّة الشاسعة، فزاروا سان بترسبورغ وأرخنجلسك وأزوف وقازان. بيد أنّ العلاقات ما عتّمت أن ساءت بين العاهل الروسيّ والنمسا، فدفع اليسوعيّون ثمن هذا الخصام وأصدر القيصر أمرًا بطردهم سنة ١٧١٨، وظلّوا خارج البلاد أكثر من نصف قرن.

(١) Georgius David, s.j., (Edited by A.V. Florovskij), *Status Modernus Magnae Russiae seu Moscoviae*, The Hague, 1965.

(٢) *Exemplar characteris Moscovitico-Ruthenici duplicis Biblici et usualis*, Nissae, 1690.

العصر الذهبيّ: في عهدَي كاترينا الثانية وبولس الأوّل (١٧٧٢ ـ ١٨٠١)

وحدث أن تقاسمت روسيا وبروسيا والنمسا البلاد البولونيّة سنة ١٧٧٢، وكان من بين البولونيّين أو سكّان بولونيا الذين أضحوا من التابعيّة الروسيّة نحو ٢٠٠ يسوعيّ، ٩٧ منهم كينة. فلاقوا من مليكة روسيا كاترينا الثانية الكبيرة (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) كلّ تقدير. ذلك بأنّ القيصرة كانت تُكبر فيهم مقدرتهم وخبرتهم في ميادين العلم والتربية فأحبّت أن تشجّعهم بحيث يعود النفع على ناشئة بلادها. وقد أُنشئ في روسيا بعد سنة ١٧٧٢، وبمباركة كاترينا، عشرون مؤسّسة يسوعيّة: أربع مدارس وديران وأربع عشرة إرساليّة.

وكانت الدول الأوروبيّة في تلك الأثناء تناهض الكنيسة متذرّعة بأفكار «العصر المستنير» التحرّريّة، فشنّ حربًا ضروسًا على الرهبانيّة اليسوعيّة بصفة كونها إحدى دعائم الكرسيّ الرومانيّ. وراحت الحكومات تضغط على الحبر الأعظم ليلغي وجود اليسوعيّين، مخيّرة إيّاه بين هذا الحلّ وبين جسيم الضرر يلحق بالمؤسّسة الكنسيّة ورجالها. فأذعن البابا أكليمنضس الرابع عشر لهذه التهديدات وأعلن إلغاء الرهبانيّة سنة ١٧٧٣. إلاّ أنّ كاترينا الثانية، أمبراطورة أعظم دولة أرثوذكسيّة، والبروتستانتيّة المنشأ، لم تقبل بهذا القرار. وحذا حذوها ملك بروسيا البروتستانتيّ فردريك الثاني الكبير. وكانت حججهما أنّهما ملكان غير كاثوليكيّين، وبالتالي غير مجبرين على تطبيق قرارات البابا في بلديهما. وتذرّعا أيضًا بحجج أخرى ثلاث: إنّ قرار الإلغاء لم يُسلَّم إليهما رسميًّا؛ إنّهما تعهّدا، بمعاهدة التقسيم، أن يُبقيا في بلديهما على الوضع الدينيّ الراهن؛ إنّهما لا يجدان خيرًا من اليسوعيّين لتربية الناشئة. ولا شكّ أنّ وراء هذه الذرائع رغبة واضحة معلنة عند كلا العاهلَيْن في تثبيت استقلالهما عن البابا، مقرونة بشيء من الكبرياء عند القيصرة وكثير من الخبث والدهاء عند فردريك الذي أراد أن يهزأ من البابا. ورضخ أسقف روما لهذا الواقع وقُيّض للرهبانيّة اليسوعيّة أن تبقى على قيد الحياة في بروسيا وروسيا[1].

(١) إلاّ أنّ فردريك وافق على قرار البابا في ما بعد، وألغى الرهبانيّة في بلاده يوم ١٧ كانون الثاني/يناير ١٧٨٠.

وازدهرت أعمال اليسوعيّين في بلاد القيصرة بحماية كاترينا. ومن الأحداث التي تجلّى في أثنائها عطف الملكة على أبناء القدّيس إغناطيوس، أنّه لمّا قام سنة ١٧٨٤ الزعيم الماسونيّ نقولا نُوفيكُوف يتهجّم على الرهبانيّة اليسوعيّة ويتّهمها بالتدخّل في السياسة والتنكّر لمبادئها الدينيّة، وبّخته الملكة أعنف التوبيخ وأثارت على الماسون حملةً مضادّة.

واستطاعت الرهبانيّة أن تنمو في روسيا البيضاء نموًّا مطّردًا وافتتحت دارًا للابتداء في پُولُوتسك سنة ١٧٨٠. وفي عام ١٧٨٢ سُمح لليسوعيّين أن ينتخبوا لهم نائبًا عامًّا هو الأب أستانسلاوس شِرْنِيڤِتش Czerniewicz، وخلَفه الآباء جبرائيل لِنْكِيڤِتس Lenkiewiez (١٧٨٥) وفرنسيس كَراو Kareu (١٧٩٩).

ولمّا ملك بولس الأوّل بعد أمّه، أبدى هو أيضًا الكثير من العطف على اليسوعيّين، وجعلهم يرأسون أكاديميّة ڤِيلنا وكتب بخطّ يده رسالة إلى البابا يطلب فيها الاعتراف الرسميّ بالرهبانيّة. ثمّ سمح لهم بفتح مدرسة لأبناء الشرفاء في سان پِتْرسبُورغ ويتولّى رعيّة كنيسة القدّيسة كاترينا. وكان أحدهم، جبرائيل غرُوبِر Gruber صديقًا حميمًا للقيصر، فنال بواسطته الإذن لليسوعيّين بالعودة إلى أسوج، واسترجاع أملاكهم المصادرة في الدولة العثمانيّة. وفاتح غروبر القيصر باعتناق الكثلكة، فأسرّ له الملك يومًا قائلاً: «إنّي كاثوليكيّ قلبًا»، وانتُخب غروبر رئيسًا عامًّا في أواخر ١٨٠٢ ولكنّه توفّي في ١٨٠٥/٤/٧.

في عهد إسكندر الأوّل (١٨٠١ - ١٨١٥)

لمّا اغتيل بولس الأوّل خلَفه ابنه إسكندر الأوّل سنة ١٨٠١، وتابعت الرهبانيّة اليسوعيّة في رعايته رسالتها التربويّة على أحسن حال، ورُفعت مدرسة پُولُوتسك إلى مرتبة الأكاديميّة سنة ١٨١٢، وكانت سائر مدارس اليسوعيّين في الأمبراطوريّة مرتبطةً بها. ولئن اهتمّ الرهبان في روسيا البيضاء بالشبّان

= أطلب المزيد في كتاب P. Stanislas Zaleski, *Les Jésuites de la Russie-Blanche*, traduit du polonais par le P. Alexandre Vivier, Paris, 1886, t. 1, p. 163-168, 215-237.

الكاثوليك، إلاّ أنّهم في بترسبورغ اهتمّوا بالأرثوذكس، ومن الشخصيّات التي تخرّجت في معاهدهم: غُولتسين وتُولستُوي وستروغانُوف ونُوفوسِلتسيف.

وإلى جانب العمل التربويّ، تابع اليسوعيّون عملهم الإرساليّ، فنشطوا في ريغا، حيث جادلوا البروتستانت، وفي أوديسّا وأسترخان وسيبيريا والقفقاس.

إلاّ أنّ القيصر بدأ يتحوّل عن أصدقائه الرهبان بعد حملة نابليون على روسيا سنة ١٨١٢، إذ راحت الحكومة القيصريّة تشكّ في أمانة اليسوعيّين، لما لهم من ارتباطات مع الغرب. وقد زاد في ذلك الشعور عودة الرهبانيّة رسميًّا إلى الوجود سنة ١٨١٤، فتنبّه حسّادها ووشوا بها. وأعار القيصر أذنًا صاغية إلى المتصوّفين البروتستانت والفرمسون وبعض أعضاء الإكليروس الأرثوذكسيّ. وطفح الكيل مع اعتناق عدد من سيّدات المجتمع المذهب الكاثوليكيّ، كالاميرتَيْن إلكسيا وأليصابات غُولتسين، والكونتسّا غُولُوفين، والبُدة سفِيتْشين. ولمّا حذوهنّ أحد أنساء الجنرال كُوتُوزُوف، قرّر القيصر طرد اليسوعيّين من العاصمتَيْن في ١٨١٥/١٢/٢٣، ثمّ من سائر أنحاء المملكة الروسيّة في ١٨٢٠/١٢/٢٥.

من منتصف القرن التاسع عشر إلى قُبَيل الثورة الكبرى

عاد اليسوعيّون يهتمّون بالشؤون الروسيّة مع إطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد انضمّ إلى رهبانيّتهم في فرنسا ثلاثة من الروس المعروفين بشرف الحَسَب والنَسَب، هم إيفان غاغارين (١٨١٤ ـ ١٨٨٢) وإيفان مرتينُوف (١٨٢١ ـ ١٨٩٤) وأوجين بَلابين (١٨١٥ ـ ١٨٩٥).

كان غاغارين أميرًا ولد في روسيا، فترك بلاده وما كان يُعدّ له فيها من مستقبل زاهر في حقل الدبلوماسيّة واعتنق الكاثوليكيّة في باريس. وألّف عددًا من الكتب عالجت أوضاع الكنيسة الروسيّة والخلافات العقيديّة بين الكاثوليك والأرثوذكس، وظلّ طوال حياته على صلة بكثير من المفكّرين في بلاده، من أمثال نقولا تُورغنِيف، وسمارين، والشاعرَيْن بُوشكِين ولرمُونتُوف.

أمّا مَرتينُوف فكان من مؤيدي قرون ومربّي لأولاد الكونت ستروغانوف شُوفالوف. وقد وجّه نشاطه الفكريّ إلى نشر الوثائق القديمة الهامّة[1].

وكان بلاتين، المولود في سان بترسبورغ، وصيفًا للقيصر العتيد إسكندر الثاني، فعمل بعد دخوله الرهبانيّة مع زميلَيْه السابقَيْن في فرنسا، ثمّ انتقل في سنواته الأخيرة إلى القاهرة حيث توفّي.

وهناك روسيّ رابع، ألمانيّ المولد، هو بولس پيرلنغ Pavel Pierling (١٨٤٠ ـ ١٩٢٢)، ساعد زملاءه الثلاثة في عملهم واشتهر بتركيزه على تاريخ العلاقات الدبلوماسيّة بين روسيا والكرسيّ الرومانيّ وله في ذلك، في ما له، مؤلّف ضخم في خمسة مجلّدات[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّه في مطلع القرن العشرين استطاع أحد اليسوعيّين، وهو الأب فليكس ڤيرسينسكي Wiercinski من الدخول إلى روسيا سنة ١٩٠٣ مخفيًا كونه يسوعيًّا ومستفيدًا من حماية بعض كبار المسؤولين. فخدم الألمان الموجودين في العاصمة واعتنق الكثلكة عن يده عددٌ من الشخصيّات المعروفة، ولكنّ بعض الوشاة سعوا به فاكتُشف أمره وأُبعد إلى المنفى عام ١٩١١.

بعد الثورة الكبرى

١ ـ **المحاولات «الفرديّة»**: في سنة ١٩٢٢ أرسل البابا بيوس الحادي عشر إلى موسكو لجنة لإغاثة الجائعين الروس، كان رئيسها اليسوعيّ الأميركيّ إدمُند والْش Walsh، ومعه عدد من الرهبان بينهم ثلاثة يسوعيّين. فوزّع الموفدون طعامًا لآلاف المحتاجين لا سيّما الأولاد في جنوب روسيا ومنطقة الڤولغا، إلى أن اضطرّت اللجنة إلى مغادرة البلاد في أيلول/ سبتمبر ١٩٢٤. وكان والْش قبل ذلك قد حضر، كممثّل للمصالح الكاثوليكيّة لدى الحكومة السوفياتيّة، الدعوى التي اتّهمت بالحكم زورًا على ستّة عشر عضوًا من الإكليروس الكاثوليكيّ. ولمّا رأى أنّ محاولاته لمنع السلطات من بتّ حكمهم

(١) عمّا له في ذلك: *Les manuscrits slaves de la Bibliothèque Impériale*, Paris, 1858.

(٢) *La Russie et le Saint-Siège. Etudes diplomatiques*, Paris, 1896-1912.

الجائر لم تجدِ نفعًا، استقال وغادر الاتّحاد السوفياتيّ واستطاع أن يوصل إلى الصحافة الأجنبيّة أهمّ وقائع المحاكمة.

وفي سنة ١٩٢٥ تمكّن اليسوعيّ الفرنسيّ ميشال داربينّي d'Herbigny (١٨٨٠ ـ ١٩٥٧) الدخول مرّةً أولى إلى الاتّحاد السوفياتيّ. كان هذا الراهب رئيسًا للمعهد البابويّ الشرقيّ في روما وملمًّا بالشؤون الروسيّة، فلفت انتباه البابا بندكتس الخامس عشر وخلفه بيوس الحادي عشر. وأُرسل إلى روسيا ليدرس فيها الأوضاع الدينيّة واتّصل بممثّلين من الكنيسة هناك. ولدى عودته قرّر البابا إيفاده مرّةً ثانية، فسيم سرًّا في برلين أسقفًا بوضع يد السفير البابويّ پاتشّلّي ـ بيوس الثاني عشر في ما بعد ـ ورجع إلى موسكو وسام بدوره أساقفةً بطريقة سرّيّة، وكان يعلّل النفس بتأسيس معهد كنسيّ في أوديسا بإدارة اثنين من اليسوعيّين، ولكنّ المشروع أخفق. وأعاد داربني الكرّة ثالثةً في آب/ أغسطس ١٩٢٦، إلاّ أنّ السلطات الشيوعيّة اضطرّته إلى مغادرة البلاد قبل إنهائه مهمّاته.

وإلى جانب تلك المحاولات الفرديّة «والرسميّة» للدخول إلى روسيا، تمكّن ثلاثة يسوعيّين من ولوج البلاد إبّان الحرب العالميّة الثانية، وقد دوّن جميعهم رحلاتهم ومغامراتهم في كتب مثيرة. أوّلهم يسوعيّ أميركيّ من أصل بولونيّ هو والتر تشيشيك، روى قصّة سجنه ونفيه في كتاب أسماه مع الله في روسيا[١]. والثاني هو الأب الإيطاليّ بطرس ليُوني الذي دخل الاتّحاد السوفياتيّ سنة ١٩٤١ مرشدًا لجنود بلاده وأُوقف سنة ١٩٤٥ وحُكم عليه بالأشغال الشاقّة في مناجم الشمال، ولم يطلق سراحه إلاّ عام ١٩٥٥. دوّن قصّته في كتاب عنوانه جاسوس الڤاتيكان[٢]. والثالث إيطاليّ من أصل أرمنيّ هو الأب بطرس أجّياني (أو أجياجيان). خدم مرسلاً في أوكرانيا والقفقاس بين ١٩١٩ و١٩٣٠ ثمّ عاد سنة ١٩٤٢ مرشدًا للجنود الإيطاليّين فسُجن وظلّ في الأسر اثنتي عشرة سنة قبل إطلاقه عام ١٩٥٤. أمّا رواية سجنه فقد سجّلها في كتاب بعنوان سجوني في الفردوس السوفياتيّ[٣]. وقد تُتيح لنا التعرّف إلى هذا الأب فألفيناه، رحمه

(١) Walter Ciszek, *With God in Russia*, New York, 1964.

(٢) Pietro Leoni, *Spia del Vaticano*, Roma, 1959.

(٣) Pierre Alagiani, *Mes prisons dans le paradis soviétique*, Montréal, 1969.

الله، على حساب كثير من الحرفة و بعض -

٢ ـ الأعمال المنظَّمة: ولئن عرف التاريخ محاولات فرديّة لدخول اليسوعيّين روسيا والعمل فيها، فما تلك المحاولات إلاّ طواهر موسميّة ظرفيّة لعمل منظّم جدّيّ أوسع ما زالت الرهبانيّة اليسوعيّة تقوم به منذ بداياتها. وقد تجلّى اهتمامها بالشأن الروسيّ في هذا القرن بإنشائها عدّة مؤسّسات وإطلاقها عدّة نشاطات.

في عام ١٩٢٠ قرّر الرئيس العامّ الأب لِيدُوكُوفسكي تأسيس فرع شرقيّ في الرهبانيّة للعمل بين الروس. ومن إنجازات أعضائه خدمة الروس المهاجرين بعد ثورة ١٩١٧ والحرب الكونيّة الثانية، سواء على الصعيد التربويّ أو العلميّ أو الروحيّ.

ففي سنة ١٩٢١ أسّس الفرنسيّ لويس بايّ Baille في اسطنبول معهدًا داخليًّا للصبيان الروس، نُقل بعد سنتين إلى نامُور Namur في بلجيكا، ثمّ إلى باريس عام ١٩٤٠، واستقرّ آخر الأمر في مِيدُون Meudon بضواحي باريس. ولكنّه حوّل سنة ١٩٦٩ إلى مركز للدراسات الروسيّة. وقد تخرّج من هذا المعهد عدد من الشبّان الروس تبوّأوا مراكز مرموقة، نذكر منهم اللاهوتيّ الأرثوذكسيّ الذائع الصيت جُون مايندُورف John Meyendorf المستقرّ اليوم في الولايات المتّحدة الأميركيّة.

وفي روما تُشرف الرهبانيّة اليسوعيّة على إدارة المعهد الروسيّ وقد أسّسه البابا بيوس الحادي عشر ليُعدّ فيه كهنة يعملون في روسيا. واليوم أصبح هذا المعهد، بفضل الروح المسكونيّة السائدة بين الكنائس، مكان لقاء مستمرّ بين اليسوعيّين والأساقفة الروس، وإنّ عددًا من الإكليريكيّين الروس الأرثوذكس درسوا فيه أو في الجامعة الغريغوريّة التي يديرها اليسوعيّون وفيها معهد للدراسات الماركسيّة. كما أنّ أحد الآباء اليسوعيّين درّس منذ سنوات قليلة في الأكاديميّة الأرثوذكسيّة في لينينغراد.

وعلى الصعيد العلميّ يجدر ذكر ما يقوم به اليسوعيّون اليوم من تعاون مع علماء الاتّحاد السوفياتيّ في العديد من الميادين كالسيبرناتيّة والفيزياء الفلكيّة

والعلوم البيزنطيّة. وتُصدر الرهبانيّة في مركز الدراسات الروسيّة قرب باريس مجلّتَيْن تعنيان بالأمور الروسيّة، إحداهما بالفرنسيّة: Plamia والثانية بالروسيّة: Simvol.

وبالعودة إلى العمل المنظّم مع الروس المشتّتين في سائر البلدان نذكر ما يقوم به اليسوعيّون لخدمة هؤلاء في الولايات المتّحدة الأميركيّة والأرجنتين والبرازيل وتشيلي والفيليبّين وفرنسا.

٣ ـ اليسوعيّون الروس: قليلون هم الروس المنتمون إلى الرهبانيّة اليسوعيّة في القرن العشرين، لا يتعدّى عددهم الخمسة:

نقولا بُوك Bok (١٨٨٠ ـ ١٩٦٢). موظّف سابق في وزارة الخارجيّة على عهد القياصرة. دخل الرهبانيّة في سنّ متأخّرة وخلّف كتابًا دوّن فيه الرياضات الروحيّة التي ألفاها.

إيڤان كُولُوغريڤُوف Kologrivov (١٨٩٠ ـ ١٩٥٤). إعتنق الكثلكة وترهّب سنة ١٩٢١ بعد أن انصرف أوّلاً إلى حياة الجنديّة. درّس في المعهد الحبريّ الشرقيّ في روما وألّف كتابًا عن القداسة في روسيا[1].

ستانسلاوس تِيشكِيڤِيتش Tyszkiewiez (١٨٨٧ ـ ١٩٦٢). سليل عائلة روسيّة نبيلة بولونيّة الأصل. درّس اللغة الروسيّة واللاهوت الشرقيّ مدّة ثلاثين سنة في روما.

جِيُورجِي كُوڤالِنكُو Kovalenko (١٩٠٠ ـ ١٩٧٥). أصله من كييف. إنتمى إلى الكنيسة الكاثوليكيّة، ثمّ التحق بالرهبانيّة اليسوعيّة في روما. خدم المهاجرين الروس في الأرجنتين ثمّ عاد إلى المعهد الروسيّ بروما حيث أنهى حياته.

ڤيكتور نُوڤِيكُوف Novikov (١٩٠٥ ـ ١٩٧٩). روسيّ المولد. لمّا كان في المعهد الروسيّ بروما تعرّف إلى والتر تِشِيشِك، وانضمّ برفقته إلى نفر من العمّال البولونيّين الذاهبين إلى روسيا للعمل في مناجم الأورال. دخلا البلاد

(١) *Essai sur la sainteté en Russie*, Bruges, 1953.

[illegible] وقد لخص حديثه [illegible] بكلمة سبنسر للأعمال الشاقة في سجن وفيما أصبح سجن تشيشك سنة ١٩٦٣. ففي موفيكوف يدرّس اللاتينية في كليّة الطبّ بمدينة بنباج Belebej في جمهوريّة بشكيريا (!)، ثمّ عُيّن عميدًا لتلك الكليّة (!!). وسُمح له بعد ذلك بزيارة إخوانه اليسوعيّين في جامعة نامُور ببلجيكا، وظلّ في الاتّحاد السوفياتيّ يخدم يسوعيًّا، في بشكيريا.

الخاتمة

منذ فجر تاريخها تطلّعت الرهبانيّة اليسوعيّة إلى بلاد الروس كما تطلّعت إلى سواها من البلاد النائية الشاسعة المجهولة في تلك الأيّام، كالصين واليابان والحبشة. وتميّزت علاقات روسيا واليسوعيّين بطابع الغرابة والخروج عن المألوف، ولكنّ تلك العلاقات بقيت قائمةً على الرغم من العقبات، إذا عكّر النكدُ صفوَها يومًا حالفَها السعْدُ يومًا آخر. ولا غرو فقد أخذت تلك البلاد العظيمة الساحرة بمجامع قلوب كلّ مَن عرفها لِما فيها من غنى حضاريّ وثقافيّ وروحيّ. ولئن حاول اليسوعيّون في بدء أمرهم التعامل مع روسيا لجذبها إلى أحضان الكثلكة، متأثّرين في ذلك بعقليّة العصر، فإنّهم اليوم، مع هبوب الرياح المسكونيّة الصافية، لا يبتغون إلاّ الجوار الأخويّ في الانفتاح والتعارف لخدمة الإنسان وبنيانه حيثما كان. وقد بادلهم الروس هذه الروح وهذه المحبّة، وخير دليل على ذلك الزيارة التي قام بها في تمّوز/ يوليو ١٩٧٧ الأب بِدْرُو أَرّوبه Arrupe، رئيس اليسوعيّين السابق، إلى موسكو بدعوة أخويّة من الكنيسة الأرثوذكسيّة، وقد طلب إليه آنذاك المتروبوليت جُوفنال أن يلقي كلمةً على المؤمنين في أثناء الخدمة الإلهيّة. فسبحان ربّ المحبّة، الذي يبدّل ولا يتبدّل.

بعض المصادر

News and Features S.J., Curia Generalis S.J., Roma, Vol. 19.

Constantin Simon, S.J., *Les Jésuites et la Russie. Les étapes historiques*, dans *Plamia*, Meudon, No 81. (Juin 1991), pp 5-24.

Stanislas Zalenski, S.J, *Les Jésuites de la Russie-Blanche*, traduit du polonais par le P. Alexandre Vivier, S.J., 2 Tomes, Paris, 1886.